د. عبد الرحمن بن صالح العشماوي

نقوش

على واجهة القرن الخامس عشر

شعر

مكتبة العبيكان

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العشماوي، عبدالرحمن

نقوش على واجهة القرن الخامس عشر - ط٢ - الرياض

٨٣ص؛ ١٤×٢١ سم

ردمك: ٣-١٠٧-٤٠-٩٩٦٠

١- الشعر العربي - السعودية أ- العنوان

ديوي ٨١١,٩٥٣١ ٢٢/٤٨٢٠

ردمك: ٣-١٠٧-٤٠-٩٩٦٠ رقم الإيداع: ٢٢/٤٨٢٠

الطبعة الثانية

١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

لوحـــــة

صَـــمْتُ هـذا الزمـــانِ نُطْقٌ مـــبينُ
حين يقـــســـو على الفـــتى ويَلِينُ
تتـــوالى الأيامُ تحـــصـــدُ أَجـــيـــا
لاً، وتفنَى مَـــعَـــاقلٌ وحـــصـــونُ
نحن نسـعى إلى الرَّغـائبِ سـعْـيـاً
وبنـا لـلفَنـاءِ تجـــــري السـنـينُ
سنواتٌ مـــضتْ، ومـــا زال قَـــوْمٌ
في مـــتـــاهـاتهم، ومـــرَّت قُـــرونُ
إنما العـــمـــرُ مـــركبٌ يطلب النَّا
سُ عليـــه المنى، وفـــيـــه المنونُ

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمات ..(*)

كانت إطلالة القرن الخامس عشر الهجري بمثابة الهزَّة العنيفة التي أثارت في أذهاننا أسئلةً متعدِّدة حول المرحلة الجديدة من مراحل الحياة التي تقبل عليها أمتنا.

ما حصيلة أمتنا في القرن الماضي؟

أين وصلت هذه الأمة، سياسياً واجتماعياً، وحضارياً، وقبل ذلك دينياً؟

وبعد ذلك.. مالذي تنوي أنْ تفعله هذه الأمة في رحلتها الزمنية الجديدة؟

ومع توارد الأسئلة إلى الأذهان.. تحرّكتْ في أنفس كثير من المسلمين مشاعر الألم والحسرة على المرحلة الماضية، وما أدَّتْ إليه من تشتُّتٍ وضياع، ومشاعر الخوف والقلق على المرحلة القادمة التي لا يعلم إلا الله ما ستزفُّه إلينا من أحداث.

وفي نظري.. أنَّ تلك الهزة العنيفة، وتلك الأسئلة

---

* لاحظ تاريخ كتابة هذه الكلمات

المتواردة، وهذه المشاعر الموزَّعة بين الألم والحسرة من جانب، والخوف والقلق من جانب آخر.

كلُّ ذلك.. يدلُّ على يقظةٍ في الذهن، ستؤدي - بإذن الله - إلى يقظةٍ شاملةٍ تعمُّ العالم الإسلامي بأجمعه.

أهو تفاؤل؟!

إي والله.. إنه لتفاؤلٌ مبنيٌّ على أساسٍ من نظرةٍ واعية إلى عقيدةٍ قويةٍ بدأت تأخذ مكانها الطبيعيَّ في قلوب المسلمين، بعد أن أبعدتها عن هذا المكان اتجاهاتٌ مختلفة، وأفكار متعدِّدة وفدتْ من غرب وشرق، وتهيَّأ لها قومٌ أدركوا أنهم لا يستطيعون السيطرة على العالم الإسلامي إلاَّ إذا استطاعوا أنْ ينحُّوا العقيدة عن القلوب، وأنْ يغرسوا في نفوس المسلمين جذور الاضطرابِ والقلق، وعدم الثقة فيما يملكون من مقوِّماتٍ للحياة الحرَّة الكريمة.

إي - والله -.. إنه لتفاؤل المسلم الذي يرى ليل اليأس، وقد اشتدَّتْ ظلمته وهيمنتْ، ولكنّها ظُلْمَة آخر الليل لا يعقبها إلا الفجر الذي يفضح بنوره تآمُر المتآمرين، ويكشف وجوه الحاقدين المتسترين وراء دعوات الإصلاح.. وما ذاك الفجر عن أمتنا ببعيد.

صحيحٌ.. أنَّ الحركة الاستعمارية الشرسة ما تزال تعمل ليلَ نهار لمدِّ أروقة الظلام على كلِّ مكانٍ في عالمنا الإسلامي، صحيحٌ.. أن عملاء الاستعمار «من أبناء العالم الإسلامي» ما يزالون يحملون أفكاره إلى أمتهم، ويعملون على تطبيقها في بلادهم بقوَّةٍ وعنف، وشراسة، لا يبالون في سبيل ذلك أنْ يشربوا دماءَ الأبرياء.. وأنْ يحطِّموا طموحات الأجيال.. وأنْ يطأوا على آمال الشبيبة وأحلامهم، وأنْ يسدُّوا أبواب الانطلاق أمام تطلُّعاتهم.

صحيحٌ... أنَّ العالم الإسلامي ما يزال «متميزاً» بخلافاته التي لا تنتهي وببعده عن أصالته، وعن منابعه الثَّرّة التي يمكن - لو استغلَّها - أن ترويه، وتروي من ورائه العالم أجمع.

صحيحٌ.. أنَّ العالم الإسلامي لا يزال ميداناً للقوى الكبرى في هذا العالم تمارس على أرضه وسائلها المختلفة في التدمير والتخريب، وتجرّب في أبنائه أسلحتَها الحديثة التي صُنعتْ لتكون أسلوباً للإرهاب الذي لا يُراعي في سبيل تحقيق أهدافه حرمةً لدمٍ ولا لعرضٍ ولا لأدنى قدرٍ من حقوق الإنسان.

كل ذلك صحيح..

ولكنَّ الحقيقة الكبرى التي يدركها المتتبِّع لخطوات أمتنا... تؤكِّد أنَّ نور الإيمان... أخذ يضيء نفوس كثير من أبنائها... وأنَّ فشلَ تجربتها فيما أخذت به من مذاهب الغير... بدأ يضع أمام عينيها صورة حقيقيةً لوجوه قبيحة كانت تختفي وراء الأقنعة.. ولأيدٍ خائنةٍ كانت تتحرك من وراء الستار.

نعم...

لقد شبعت أمتنا من خلافاتها ـ إن كانت الخلافات تشبع ـ وارتوت من دمائها المهدرة ـ إن كانت الدماء تروي ـ.. إنها تجربةٌ مرَّت بها فيما مضى، وهي ـ وإن كانت تجربةً مرَّة ـ إلا أنها قد أبانتْ كثيراً من الحقائق التي كانت تغيب عن الأذهان.

نحن لا ننكر أنَّ أمتنا قد مهَّدتْ للاستعمار في أرضها.. وفتحتْ له أبوابها مأخوذة في ذلك ببعض الوعود الكاذبة، ومخدوعة بزيِّ الإصلاح الذي ارتداه الاستعمار فكان ظاهره الرحمة، وباطنه من قبله العذاب.

لقد فرَّت الأمة الإسلامية من رمضاء الخلافة العثمانية

التي وقعت في بعض الأخطاء أواخر أيامها.. ولكنها الأخطاء التي لم تكن جديرة بطمس ذلك الدور الكبير الذي أدَّته هذه الخلافة في تجميع البلاد الإسلامية تحت راية واحدة.. أقول: لقد فرّت أمتنا من هذه الرمضاء إلى جحيم الاستعمار فكانت بذلك نكبتها الكبرى التي انطلقت شرارتها من سياسة «فرِّق تسد» التي رفعت شعارها إنجلترا آنذاك. أضف إلى ذلك.. أن أمتنا قد رأتْ ـ ولم يكن رأيها صائباً ـ، أو أنَّ أعداءها قد رأوا لها ـ وقد أصابوا فيما رأوه لأنفسهم ـ أن سبيلها إلى الخروج من تخلُّفها في مجال المدنية، هو سلوك طريق الحضارة الغربية التي كانت صورتها في ذهن الأمة صورةً مشرقة بما فيها من علوم وعمران، واختراعات لم تكن لتخطر للمسلمين ـ في ذلك الحين ـ على بال.

وحدث الاندماجُ، أو قل: حدث «الذَّوَبان» الرهيب، حيث ذابت الأمة الإسلامية وانصهرتْ في بوتقة الغرب، وتضاءلتْ قدرتُها على المقاومة، فأصبحت تتلقّى ضربات المستعمرين راضيةً مطمئنة... ولو كانت مبادئ أمتنا وقيمها وعقيدتها متأصِّلة في نفوسها حين غزاها

المستعمرون.. لما حدث لها ما حدث من «ذَوَبانٍ» وتراجعٍ أمامهم في كل ميادين الحياة على وجه التقريب.

ونقول ـ هنا ـ: على وجه التقريب.. لأنه قد ظهرت ـ في الحقيقة ـ إزاء هذه الأوضاع المتردِّية، بوادر الصحوة الإسلامية منذ زمن غير قريب، وظهر عددٌ من الرجال المخلصين، كانوا يرون من الحقائق ما لا يرى المخدوعون، ويدركون من خُطط الأعداء مالا يدركه الغافلون... ولكنهم ـ على الرغم من جهودهم الصادقة ـ لم يقدروا على تجاوز الحاجز القويّ الذي ضربه الاستعمار حول أذهان الناس، وظلَّ يحميه ويدافع عنه بشتى الوسائل ومختلف الأساليب.

على أنَّ الأمة الإسلامية قد حاولت أن تتحرَّك لترفع رأسها قليلاً، ولكنها كانت تدور ضمن إطارٍ محكم من الأفكار الخاطئة والحلول غير المجدية التي لم تزد مشكلاتها إلاَّ رسوخا وتعقيداً... ولعلَّ أيدي الاستعمار الخفيَّة هي التي كانت تفعل بها ذلك.

يقول أحد كبار مخطِّطي السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، وهو اليهودي «بوجين روستو»: لقد تحرَّر «المواطن العربي» من سيطرة الغرب السياسية، لكنه لم يستطع

التحرُّر من سيطرة الغرب الحضارية، إنَّ ثروته البترولية تُصنع وتسوَّق بالعقول الغربية والأساليب الغربية والآلة الغربية... إنَّ الجيوش العربية التي هي مصدر غروره القوميّ تستعمل السلاح الغربي، وترتدي البزَّة الغربية، بل تسير على أنغام الموسيقى الغربية... حتى إنَّ ثورته على الغرب مستمدَّةٌ من المبادئ والقيم المفاهيم التي تعلَّمها من الغرب ومعرفته بتاريخه وحضارته وتراثه تُعزى إلى المثقَّفين الغربيين.

إنَّ غلبة الحضارة الغربية في الشرق، وهي العدوّ القديم للحضارة الإسلامية.. قد أورثت العربيَّ المسلمَ الشعور بالضعة والمهانة والصغار أمام طغيان تلك الحضارة التي يمقتها ويحترمها في ذات الوقت..

انتهى كلام «بوجين».. وهو كلام واضحٌ لا يحتاج إلى بيان.

إذنْ... فجميع المبادئ التي حاولت الأمة الإسلامية أن تنهض بها من كبوتها - وهي في مجموعها مبادئ بشرية - لم تكن قادرة على الوصول بالأمة إلى الهدف المنشود، ولن تكون.

وتبقى بعد ذلك حقيقةٌ واحدة... وهي أنَّ العقيدة الإسلامية هي الأساس المتين الذي يمكن أن تقوم عليه وحدة أمتنا، كما أنها الطريق المستقيم الذي يمكن أن يوصلنا إلى أهدافنا.

وحتى لا يذهب بنا الحديث بعيداً عن مجالنا، نقول:

ماذا سنُفيد من سرد هذا الحديث في مقدمة ديوانٍ شعريّ؟!

أقول:

الارتباط قويٌّ جدًّا بين إحساس الشاعر المسلم وأحداث أمته وقضاياها.. والذين يظنون الشعر ذاتياً مسجوناً في عاطفة خاصةٍ لا يتجاوزها مخطئون، وهم في خطئهم كأولئك الذين يظنون الشعر كياناً مفرَّغاً من عاطفة صاحبه وإحساسه.

أمتي مسرحٌ لأحداثٍ مؤلمة، وهدفٌ لأعداءٍ يتكالبون عليها من كل مكان، أمتي مطعونةٌ بسهام كثيرة، وهي تحاول - جاهدةً - أن تنتزع من جسدها الجريح تلك السِّهام لتردَّها قوية إلى صدور أعدائها المسيطرين، وبعض أبنائها الغادرين.

أفلا يحق لي بعد ذلك، أن أنصهر في أعماقها، وتنصهر في أعماقي، وأن تخرج بذلك قصائدي وقد امتزج إحساس أمتي فيها بإحساسي؟!

إنّ «علمانية» الأدب مرفوضة في ميزان العقل السليم، كما أن التنكُّر لذات الأديب وعواطفه مرفوضٌ أيضاً..

ويبقى بعد ذلك، التوازنُ بين ذات الأديب المسلم وواقعه، وهذا ما يميِّزه عن غيره... ونقول لمن يثير الغبار حول هذا التوازن ما قاله الشاعر العربي:

«وآفته من الفهم السقيم»

عبدالرحمن بن صالح العشماوي

الرياض ـ ١١/٣/١٤٠٤هـ

قُضي الأمر (*)

كـان غُنْمـاً فكيف أصـبح غُـرمَـا
وشـفـاءً فكيف أصـبح سُـقْـمـا؟!

ونعـيـمـاً فكيف صـار شـقـاءً
وصـفـاءً فكيف أصـبح غـمَّـا؟!

كنتَ صلباً فيكف صرتَ ضعيفاً
وعظيـمـاً فكيف أصـبحت قـزمـا؟!

كنت صوتاً فكيف أصبحت صمتاً
وبصـيـراً فكيف أصـبحت أعـمى؟!

كنتَ بالأمـر بينهم مـسـتـبـدًا
تُوسِع الرافـضين أمـرَك ذمَّـا

أنت بالأمس قـد مـدَدْتَ يد السلـ
ـم، لمن لم يُراعِ أمناً وسلمـا

أنت آثرتَ أن تحـابي عـدوًا
وتعـادي مَنْ كـان أقـربَ رُحـمـا

* إذا دعتك قدرتك على ظلم الناس فتذكّر قدرة الله عليك.

أنسيتَ الأطفالَ عضَّهم البُؤْ
سُ، وعاشوا الحياةَ ذلاً ويُتْمَا؟

أنسيت المستوطنات ومازا
لوا يقيمونها اعتداءً وظلما؟

أنسيت الدماءَ؟ فاسألْ رُبا سينـ
ـاءَ واسأل أرض السويس وشَرْمَا

كم قتيلٍ قد عانقَ الرملَ فيها
وقضى والفؤاد بالجرح يدمَى

أيها المستبدُّ، كلُّ مرادٍ
كنت تسعى إليه، أصبح وهْمَا

قُضي الأمر وانتهى كلُّ شيءٍ
وطوى اللهُ ما نشرتَ وأَطْمَى

يحسب المرء أنه يُعجزُ اللَّـ
ـهَ، فيلهو، ويملأ الأرض ظُلْمَا

ويرى الناسَ كالدُّمَى، يستجيبون
لما يبتغيه صُمّاً، وبُكْما

ويجيء القضاءُ - حتماً - فلا يقـ
ـدرُ ردًا له، ولا فيه حكما

كم رأينا من خـــاضعٍ لـلأعـــادي
جـعلوا منه في المحـافل نجـمـا

يمَّمـوا وجـهـه إليـهم، فـمـا يقـــ
صـــدُ إلاَّ أبوابهم حـــيث أَمَّـــا

صـوَّب القـومُ، ألفَ سـهمٍ إليـه
ليـتـه اسطاع، أن يصـوِّبَ سـهـمـا

أيهـا المقـتـفي طريق الأعـادي
ورمـاً قـد رأيتـه ليس شـحـمـا

كم قلوبٍ زرعتَ فـيـهـا المآسي
كم حـقـوقٍ أنَلْتَـهـا منكَ هضـمـا

كم ســجينٍ تركـتـه يتلظَّى
بسـيـاط الجـلاَّد، لم يأتِ جـرمـا

كم لسـانٍ قطعـتـه كـان يدعـو
للتـآخي، ويمنـح النـاس علمـا

إنَّ أقسى مصائب العصر أنْ نلمح
أهلَ الهُـدى يُسـامـون ظلمـا

ودعـاة الضـلال يلقـون إجـلالاً
وهم ينفـشـون في النـاس سُـمَّـا

أيُّهـــا الـلاهـثـــون خلف الأعـــادي
هـل ســتـــبنون، أم تـريدون هَـدْمـــا؟

كم رفـــعـــتم من الشـــعـــارات، لكنْ
لـم تزلْ تلكم الشـــعـــاراتُ وَهْـمـــا

قـــد شـــبـــعـــتم عـــداوةً وخـــلافـــاً
وصـــرمـتُم حـبل التـواصل صَـرْمـا

ونســـيـــتم قـــرآنكم، وجـــعلتم
دون إيمـانكم مـن البَـــغْيِ رَدْمَـــا

الشـــعـــارات لا توحِّـــد صـــفـــاً
والخـــلافـــات لا تحـــقِّق حُلْمَـــا

إنهـــا رجـــعـــةٌ إلى الله تمحـــو
كلَّ عـــارٍ وتحـــسم الأمـــرَ حَـسْـمـــاً

ذمارُ ... ماذا جرى ؟!

"رسالة عزاء إلى أهل ذمار بعد أن ابتلع الزلزال

جزءاً كبيراً من بلادهم"

بمن ألوذ، ومَنْ أشكو له حـــالي
ســواك ياربّ في حَلّي وترحـالي؟

تقـضي بأمــركَ يا ربي، وأقـبلُه
فــأنتَ أعلمُ، يا رحــمن، بالحــالِ

أوْغَلْتُ في درب أحلامي، وكم تَعِبَتْ
رجلي، وكم شَكَتِ الأحــلامُ إيغــالي

بنيتُ لي في دروب العـمــر أروقـةً
من الخــيــالاتِ، لم تخطرْ على بالِ

«ذمارُ» في ناظري رَمْزُ الحياة وفي
جــبــالهــا زهوُ أزمــانٍ وأجْــيــالِ

«ذمـارُ» واجـهـةُ التـاريخِ ترمـقـهـا
عينُ الزمــانِ بإكــبــارٍ وإجــلالِ

في أرضـهـا وقف التـاريخ منبـهـراً
يـروي حكايات «أذواءٍ» و «أقـيـال»

مـا زال يخـبـرني عنهـا، يذكّـرني
بما حَـــوَتْ من بطولاتٍ وأبـطالِ

* * *

«ذمارُ» ماذا جرى، هل أنت عاشقَةٌ؟
أهذه لهـفـةٌ في صـدرك الغـالي؟!

أهذه زفـرةُ المشـتـاق أرسلَهـا
فـؤادُكِ المبـتلى، في شَكْلِ زلزالِ؟!

نسيتِ في غـمـرة الأشـواقِ نكبـتَنا
فنحن مـا بينَ مـحـمـولٍ، وحـمَّـالِ

وبين ملتـهب الأحـشـاء ملتـحف
بالصـمت، أقفـر من أهلٍ ومن مـالِ

ونحـن مـا بين مـبـهـورٍ بنكبـتـه
يُمسي ويصبح في نجـوى وتَسْآلِ:

مـا بال قـريتنا، ضـاعت مـعـالمهـا
وألبَسـتْـهـا المآسي شـرَّ سـربالِ؟!

بالأمس ألمح فيها زَهْوَ مملكة
واليوم ألمحُ فيها ذلَّ أطلالِ

بالأمسِ تنشد للآفاقِ أغنيةً
واليوم تقرأ نعيَ الأهلِ والآلِ

بالأمس ترفع للآفاقِ جبهتها
واليومَ تمضغها أشداقُ زلزالِ

صحوتُ من غَفْوَةٍ ياربّ كنتُ بها
أعيش رَهْن خيالاتي وآمالي

صحوتُ من غفوة الأحلام ما اكتحلتْ
عيني، برؤيةِ أعمامي وأخوالي

«ذمارُ» أخلفتِ حسنَ الظنِّ فانتفضي
وارمي بسهمٍ إذا ما شئتِ، قتَّالِ

وقفتُ أقرأ في عينيكِ كارثتي
وقد شكا عنقي من جَوْرِ أغلالي

«ذمارُ» ما زالت المأساةُ تُلجمني
ماذا أقول، وهل تجديكِ أقوالي؟

* * *

آمنتُ باللهِ، ما تبقى الحياةُ بنا
ـ وإن صفا عيشُنا فيها ـ على حال

نرنو إليها ونفني العمرَ نطلبهُا
ولم تزلْ بينْ إدبارٍ وإقبالِ

يا ربما ابتسمتْ يوماً لذى شَرَهٍ
وربما خضعتْ يوماً لمحتالِ

تطيبُ حيناً، وتُغرينا لذائذُها
لكنَّها لو وَعَيْنَا دارُ أهوالِ

من نطفةٍ يبدأ الإنسانُ رحلتَه
حتى يصيرَ إلى ضعفٍ وإمحالِ

يظلُّ يرحل في الدنيا، وقوَّتُه
تخبو، وتلك سجايا كلِّ رحَّالِ

* * *

يهونُ كلُّ اغترابٍ في الحياةِ فكم
ذي غربةٍ عادَ محفوفاً بإجلالِ

وغربةُ الموتِ أقسى ما نكابده
كم فرّقتْ بيننا من غير إمهالِ

مَنْ ذا الذي نال في دنياه غايتَه؟
مَنْ ذا الذي عاش فيها ناعم البالِ؟!

يَفنى الفتى، وعلى عينيه أشرعةٌ
من الذهولِ، تُواري دمعَه الغالي

يَضيق بالمرءِ عُمْرٌ لو أفاقَ له
لما قضاه بتفريطٍ وإهمالِ

آمنتُ بالله لا يأسي سينفعني
ولا بكائي، فإنَّ الله أبقى لي

بَوحٌ وشكوى

إلهي .. من سناكَ قَبَسْتُ نوري
وأنْبَتَّ المحبَّةَ في ضميري

أعوذ بنور وجهك يا إلاهي
من البلوى ومن سوءِ المصيرِ

أفرُّ إليك من نكدي ويأسي
ومن عَفَنِ الضلالة في شعوري

فقيراً جئْتُ بابَكَ يا إلاهي
ولستُ إلى عبادك بالفقيرِ

غنيٌّ عنهمو بيقين قلبي
وأطمع منكَ في الفضل الكبيرِ

إلهي.. ما سألتُ سواك عوناً
فحسبي العونُ من ربٍ قديرِ

إلهي.. ما سألتُ سواك عفواً
فحسبي العفوُ من ربٍ غفورِ

الرياض - ١٤٠١هـ.

إلهي.. مـا سـألت سـواك هَدْياً
فـحـسـبـي الهَـدْيُ من ربٍّ بصـيـرِ

إذا لـم أسـتـعـن بك يا إلـهـي
فَـمَنْ عـوني سـواك ومَنْ مُـجـيـري؟!

* * *

إليكَ رفـعتُ يا ربي دعـائي
أجـود عليـه بالدمع الغـزيرِ

لأشكوَ غـربتي في ظلِّ عـصـرٍ
ينكِّسُ رأسَـه بين العـصـورِ

أرى فـيـه العـداوةَ بين قـومي
وأسـمع فـيـه أبواقَ الشـرورِ

وألمح عـزَّة الأعـداء حـولي
وقـومي ذلُّهم يُدمي شـعـوري

أرى في كل ناحـيـة سـؤالاً
مُلِحّـاً، والحـقـيـقـةُ في نفـورِ

وأسـمع في فم الأقـصى نداءً
ولكنَّ العـزائم في فـتـورِ

إلهي.. مـــا يئـــسّنا إذْ شكونا
فـإنَّ اليـأْسَ يفـتكُ بالضـمـيـرِ

لـنـــا.. يـــاربّ إيمـــانٌ يُـريـنـــا
جلال السير في الدرب العسيرِ

تضـيق بنا الحـيـــاةُ وحين نهـفـو
إلى نجـــواك نحظى بالســـرورِ

في غمرة الأحداث

هتفتْ بك الأشواقُ يا باغيها
أخفيتَها دهراً، فهل تبديها؟

في كل حرفٍ من نشيدك آهةٌ
يدعوك في ليل الأسى داعيها

هتفتْ بك الأشواق إنَّ نشيدَها
عذبٌ، فغرِّدْ، واحذرِ التَّمويها

فلربَّما تشدُو البلابلُ غُدوةً
وتروح تندب في الأسى شاديها

تفنى النفوس وذاك أمرٌ واقعٌ
فالنفس راجعةٌ إلى باريها

ما الخوف أن تَفْنَى النفوسُ، وكلُّ ما
نخشاه، أنْ تفنى الكرامةُ فيها

نخشى على الإسلام مَنْ يأتي الهدى
كذباً، ويقصِد للهدى تشويها

الرياض - ١٣٩٦هـ.

غَبْنُ القرون يَبُثُ في أعماقه
أحقادَهُ فيظلُّ يستجديها

يا غارقاً في حقده ويريد أنْ
يَبني الفضائلَ، جلَّ من يبنيها

إنْ كنتَ تبغي أنْ تُصيبَ رميّةً
فاعرف سهامك قبل أنْ ترميها

وإذا رُزقْتَ من الحياة وجاهةً
فارجع لنفسك، كيف صرتَ وجيها

إنْ كنتَ بالتدجيل صرتَ مكرَّماً
فأنا أسمِّي المستغلَّ سفيها!

يا غارقاً في حقده، وبقلبه
أوهامُ بغيٍ لم يزلْ يخفيها

ماذا دهاكَ حَمَلْتَ رَمْزَ عدالة
وأراكَ أوَّلَ ظالمٍ يُفنيها؟!

لا تنظرنَّ إلى الحياة وإن قستْ
نظَر اليئُوسِ ولو شكوتَ بنيها

فالمسلم المغوار لا يرنو إلى
سَقْطِ الحياة وتُرَّهاتِ ذويها

ثقُلتْ خُطَا ليلي وطرفي ساهرٌ
والشمس غائبةٌ فمن يبديها؟

عشنا وفي الأيام أحداثٌ، وكم
يرجو لسانُ الدهر أنْ يرويها

وعلى شفاه النازحين حكايةٌ
وُئِدَتْ، ولم تلقَ الذي يحْكيها

وبأعيُن الأيتام قصةُ حسرةٍ
ذابتْ، وإعلامُ العِدا يمحوها

هرِمَ النداءُ على شفاه لم تزلْ
تشكو، ولم تلقَ الذي يُشكيها

كم من صغيرٍ ملَّ منه بكاؤه
ويتيمةٍ من أمها وأبيها

يا أمةً لولا رعايةُ خالقٍ
لاستطاعت الأحداثُ أن تَطويها

يا أمة الإسلام لا تتنكري
فأساس كلِّ حضارةٍ ماضيها

لا تتركي الإسلام فهو شريعةٌ
ما خاب طولَ زمانه حاميها

إنّ ترمِ إســـرائيلُ عـــفَّـــةَ أرضنا
فـــلأنَّ «أمـــريكا» التي تُعطيـــهـــا

ودم اليـــتـــامى كـــالمدامـــة بينهم
يشـتـاق شـاربهـا إلى سـاقـيـهـا

نســـعى إلى ذلِّ الســـلام، وربما
تجـري القـوافلُ لو أبى حـاديهـا

أنَّـى تنـالُ العـــزَّ أمـــتُنـا إذا
أعطتْ زمـام أمـورها غـاويهـا؟

قف أيهـا القلم الجـريحُ فـإنني
أخـشى على الأسـرار أن تفـشـيهـا

أخـشى عليـهـا من تملُّق حـاقـد
يُعطي المعـانَيَ غـيـر مـا أعطيـهـا

إن القـصيـدةَ حين ترسم خـاطري
فلِبَـدْئِهـا أثرٌ على تاليـهـا

هـي صـورةٌ لخـواطرٍ فـيـاضـة
أنا كـاتبٌ ومَـشـاعـري تُمْليـهـا

يحظى الفتى بالحبِّ والتقدير من
إخـوانه حـتى يحـاولَ تيـهـا

لا تحكمنَّ بمظهرٍ لمحدِّث
حتى ترى مِن نفسه خافيها

اخلصْ لخالقك الضمير ولا تخفْ
فثمار غرسكَ في غدٍ تجنيها

من يجعل الرحمن مقصدَ قلبه
يبقَى شريفاً في الحياة نزيها

غرابٌ - وبلبل

نهـــارُك مـــســـوَدٌّ وليلُكَ أليَلُ
وقلبُكَ بالعبءِ الثـقـيل مـحـمَّلُ

ووجـــهكَ بالأحـــزانِ والهمِّ طافحٌ
كـأنَّك في سـجنِ الحـيـاةِ مكبَّلُ

يلفُّكَ صَمْتٌ، تستبيحُكَ حسرةٌ
فـأنت بأثواب الشـقـاءِ مُـسَـرْبَلُ

وأنتَ وللدنيـــا بريقٌ وضـــجَّـــةٌ
إلى خطراتِ الرُّوح أصْـبَى وأَمْـيَلُ

وأنتَ وللأحـــلام فـــيكَ مطامعٌ
عَـزُوفٌ، ومن ذكـر الخـيـانة تجـفلُ

تعفُّ فـيـسـتـعـدي الهـوى نزواته
عليك، فـلا يحظى ولا أنت تبـذُلُ

وتهوى فـيستـعصي الهـوى فتنالُه
وتُدبِرُ في الأشـواقِ من حيثُ تُقـبِلُ

١/ ١٠/ ١٤٠٣ هـ

تغني وتبكي، تستجير وتشتكي
كأنكَ في حينٍ، غرابٌ وبلبلُ

نشرتَ جناحيك ارتقاءً إلى الذُّرى
فكيفَ أراك اليومَ تدنو وتسفُلُ؟!

أتبكي، وفي عينيكَ تزدحم الرؤى
وفي قلبك الشادي من الحبِّ جَدْوَلُ؟

أتبكي، وفي أعماقك النَّبْعُ لم يزَلْ
سخيّاً، وعهدي أنَّ قلبك ينهلُ؟

بربِّك لا تكسر على صخرة الأسى
صُمودَكَ! إنَّ اليأسَ يُدْمي ويقتلُ!

* * *

أيا لائمي مهلاً، فما كلُّ لائمٍ
مصيباً، ولا كلُّ المجدِّين حصَّلوا

وما كلّ مَنْ يبكي على فَقْد صاحب
وفيّاً، ولا كلُّ الموازين تَعدلُ

صبرنا على ظلم الصديق وإنَّه
لأتْعَبُ من حَمْلِ الجبال وأثْقَلُ

وســـرنا على درب الصـــلاح وإنه
لأصـعب من درب الضـــلال وأطولُ

شكونا مـــرارات الحـيـاة وإنَّهـا
تمحِّص إحـســاس الفـتى وتغـربلُ

بكينا وأبكينا، فـمـا ردَّ غـائبـاً
بكاءٌ، ولا أجـــدى حـــزيناً تعلُّلُ

تغـــرَّبَ عني مَنْ أحبُّ وصَـــالَه
فـفي خـاطري جـرحٌ به مـتـأصِّلُ

وكنت أداري بالرجـاء مـشـاعـري
ولي أملٌ أنَّ اللقـــاءَ سـيـحـصُلُ

فـمـدَّ إليـه الموتُ كـفّـاً قـويَّةً
فـــأيأسني من حـــيث كنتُ أُؤمِّلُ

أيا لائمي مـــهـــلاً عليَّ فـإنني
أقـــــرُّ بما أجني ولا أتنصَّلُ

أحـدِّد غـاياتي وأمـضي على هدًى
فـأعرف مـا أبغي ومـا سـوف أعـملُ

فـإنْ ضَعُفَتْ نفسي فللمرءِ عثرةٌ
وأيُّ فـــتًى في هذه الدار يكملُ؟

أحسُّ بجرحي يا صديقي كأنَّه
يدبُّ إلى أعماق قلبي ويُوغلُ

ونفسي أمام المغريات قويةٌ
ولكنَّها عند الأحبَّةِ تسهلُ

كأنَّ فؤادي ـ لو تأمَّلتَ ما به ـ
بما فيه من شَتَّى المشاعر، معملُ

* * *

بربكَ لا تعجل بلومٍ على امرئٍ
يواجه درباً فيه شوكٌ وحنظلُ

تُفتَّح أبوابُ الشقاءِ أمامه
وفي وجهه بابُ السعادةِ مُقْفَلُ

ولكنَّه بالرغم من جور جزنه
صبورٌ، فهذا وجهه يتهلَّلُ

أتحسبني أسدلْتُ من دون همَّتي
ستاراً وأني بالسفاهة أُشغَلُ؟

أأجزَع من أمر الإله، وهل لنا
سوى الله في ليلِ المصائبِ موئِلُ؟

أعـوذ بربي أن أكـون ضـحـيَّـةً
لمن نجـــمُـــه عند المكارم يأفلُ

أعـوذ بربي أن أصـوغ قـصـيـدةً
أزيِّف إحـســاسي بهـــا وأهوِّلُ

أغني وأبكي، أسـتـجـيـر وأشـتكي
كـذلك أحـوالُ العـبـادِ تبـدَّلُ

فـمن قـائلٍ شـعـراً يبثُّ شـجـونه
ومن قـائلٍ شـعـراً به يتـوسَّلُ

ومـا كلُّ مَنْ صـاغ القصـائد شـاعراً
ولا كلُّ من يدعـو إلى الخـيـر يعـملُ

وكم من كـريمٍ يجحـد الناسُ فـضله
يعـود إلى طبع اللئـيم ويبـخلُ

* * *

تأمَّلْتُ في الدنيـا ومـا زال حـبُّـهـا
عنيـفـاً وفي أعـمـاقنا يتـغلغلُ

فـأدركتُ منهـا بعضَ مـا كنتُ غـافـلاً
بـآمـال قلبي عنه، والمرءُ يغـفلُ

تعـادى بهـا النـاس ازديـاداً من الـغنى
فـمـــا بلغـــوا الآمـــالَ حـــتى ترحَّلوا

وما العـمر إلا صفحـة سوف تنطوي
ومـــــا المرء إلا زهرة ســـــوف تذبُلُ

إضاءَةٌ في سراديب الحياة

إذا لم يحن أمـرٌ فسـوف يحينُ
وكلُّ قـوي للـزمـان يلـينُ

أيا قلبُ قَدْ تَهوى الحياةَ حزينةً
ويطربك الشادي وأنتَ حزينُ

تمرُّ بنا الأيام والغيبُ دونها
وخالقُنا أدرى بما سيكونُ

وكم طائرٍ غنَّى على الأيك فرحةً
ومالتْ على التغريد منه غصونُ

إذا ما شدَا أصغى الزمانُ لشدوه
وفتَّح وردُ الروض والنِّسرينُ

غدا ذاتَ يومٍ للجراح فريسةً
وما صانه شدْوٌ ولا تلحينُ

ألا أيها الشادي وكلُّك لوعةٌ
أتطربنا والقلبُ منكَ شجونُ؟

الرياض ١٤٠٠ - ١٤٠١هـ.

بقلبيَ هذا الشـــدو حين تبـــثُّـــه
وفي قلبك الشـــاكي أسًى وأنينُ

عـزاؤكَ إنْ لم تَحضَ يوماً ببسـمة
وآذاك حُـــسَّـــادٌ وخـــان قـــرينُ

عزاؤك في الشدو الذي أنتَ صُغتَه
وإنْ غـــرقتْ بالدمع منك جـفـونُ

يشوقك تغريدُ العصافيرِ والدجى
هـزيلٌ طريدٌ، والصـــبـــاحُ جنينُ

وللطلِّ في نجـــوى الزُّهور تفنُّنٌ
كـــــذلك أحـــــلامُ المحبِّ فنونُ

يروقك لونُ الورد، يُغـــريك عطره
فـقلبك في كفِّ الجـمـالِ سـجينُ

أيا قَلْبُ أحـداثُ الحـيـاة أليـمـةٌ
ودنيـاك حَـيْـرَى، والهناءُ خَـؤُونُ

أراك تردُّ الطَّرْفَ تطلبُ سـالفـاً
وفـــيكَ لماضي المسلمين حنينُ

أتعشق في وجه الحبيب ملاحةً
وتطمع في النجـوى، وأنت ضنينُ؟

وتهـــفـــو إلـى نومٍ وتنسى بأنه
سـيُـولَدُ من أقـسى المتـاعبِ لينُ؟

وربَّ فـصـيحٍ مـجـدُه في لسـانه
إذا عـنَّ أمـــــرٌ لا يـكـادُ يُـبـينُ

وربَّ نقيِّ النفس مكتـملِ الحـجـا
يُحـيط به الحـسَّـادُ حـيث يكونُ

يظلُّون في كـيـدٍ له وعـداوةٍ
لينتـقـصـوا من أمـره ويُهـينوا

وكم صاحبٍ يُبدي لك الودَّ والرِّضا
وفي قلبـه حـقـدٌ عليك دفينُ !

على وجهـه تبدو عـلامـاتُ حـقـده
وكلُّ خـفـيٍّ في الحـيـاةِ يَبينُ !

ومـا كلُّ مَنْ يُبـدي لك الودَّ صـادقٌ
ومـا كلُّ مَنْ يُبـدي الجـفـاءَ يخـونُ !

ومـا النـاسُ إلا كالمعـادن، بعـضُـهـا
خـبـيثٌ، وبعضٌ طيِّبٌ وثمينُ

وكم رافعٍ رأسـاً وفي الوحل رجلُه
كـذلك أمـر الحـاقـدين جنونُ

وكم قاتلٍ والسيفُ في كفِّ غيره
وكم باذلٍ والقلب منه ضنينُ

ورُبَّ فتًى يسعى إلى كل زلَّة
ويحبو إلىً الخيراتِ وهو حزينُ

تراءى له العيش الجميل فغرَّه
وقد تخدَع الدنيا فتًى فيهونُ

أقول له: أسرفتَ في فعل منكرٍ
وجاوزتَ حدَّ الله يا مسكينُ

بذلْتُ له نصحي، وقلتُ: له اعتمدْ
على خالقٍ يُعطي الفتى ويصونُ

بتدبيره تمضي الأمورُ وإنما
يقول لشيءٍ كُنْ كذا فيكونُ

أيُنسى وفي الدنيا دلائلُ ملكه
فذلك كفرٌ بالكتاب مبينُ

إذا غصَّ قلبٌ بالمعاصي فإنها
ستقتل فيه العزمَ ثم تَرينُ

وإنْ بَطَرَ الإنسانُ يوماً بنعمة
فأمواله فقرٌ له وديونُ

إذا لم يردَّ المرءَ عن فعلٍ منكرٍ
حياءٌ، ولم يردعْه عنه يقينُ

فقد ضاع حتى لو بدا منه مظهرٌ
جميلٌ، ولو تاقتْ إليه عيونُ

يردُّ يدي عن بطشها خوفُ ربها
ويمنع نفسي أنْ تخادع دينُ

وما العزُّ إلا في التورُّع والتُّقى
وإنْ قلَّ مالٌ أو جفاك معينُ

بني أمتي، في كلِّ يومٍ لنا فمٌ
يقول، ولكنَّ الفَعالَ تَشينُ

علامَ يدَوسُ المعتدون ركابَنا
ونحن بنهج المعتدين نَدينُ؟

أيُرفَعُ رأسُ المارقين عن الهدى
ورأسُ الدعاةِ المصلحين طَمينُ؟

أيُحسَمُ أمرُ الأقوياء بساعةٍ
وتمضي علىً أمر الضِّعافِ سنينُ؟

سؤالٌ، وما زال الجوابُ مشرَّداً
تحيط به مما نخاف ظنونُ

تعـربد إسـرائيلُ في كل بقـعـة
وتشـتـدُّ فيَ الدَّعـوى ونحن نلينُ

وتعـصف بالأفـغـان قـواتُ غـاشمٍ
لـه فـي عـــذاب المسلمين فنونُ

يبـيـتون والغـاراتُ تشـتـدُّ حولَهم
ونحن مـتـاعٌ عـيـشُنا وفـتـونُ

أضافوا سماءً بالصواريخ فوقهم
وللطائراتِ العـاديات أنينُ

وسـاروا بدبَّاباتهم فـوق أرضـهم
تُدَكُّ ديارٌ تحـتـهـا وحـصـونُ

وهم كـالقـلاع الشُّمِّ لله أسلمـوا
نفـوسـاً لديهـا همَّـةٌ ويقينُ

نفـوسـاً ترى في الله عـوناً ومنقـذاً
ومَنْ غـيـره في النائبـاتِ يُعينُ؟!

سـلاحـهم الإيمانُ بالله إنَّه
سـلاحٌ قـويٌ في الخطوب مـتينُ

إذا أسلم الإنسـانُ لله أمـرَه
فكلُّ مـصـابٍ في الحـيـاةِ يَهـونُ

نقوشٌ على واجهة القرن الخامس عشر

-١-

نبعُ حـــبي وروضـــةُ الأشـــواقِ
واحـتـقـانُ الدمـوع في الأحـداقِ

وحنينُ القلوبِ، والأملُ المشـــرقُ
فـيـهـا، ووشـوشـاتُ التـلاقي

والأسى المرُّ والعـيـونُ السـخـيَّاتُ
وصـــوتُ الأنين بعـــد الفـــراقِ

والشـفـاه التي عليـهـا ابتـسـامٌ
مـــشـــرقٌ، والـتي بلا إشـــراقِ

والعـصـافـيـرُ والروابي، وفـيـهـا
الورد يُسـقى من مـائهـا الدَّفـاقِ

وبكاءُ اليـتـيم يغـرس في النفس
جـــذورَ الحـنانِ والإشـــفـــاقِ

وغـنـيٌّ في لهـــوه لا يبـــالـي
بفـقـيـرٍ يعـيشُ في إمـلاقِ

الرياض ١٤٠٠هـ.

وكـبـيـرٌ في قـومـه يدَّعي العلـ
ـمَ، ويأبـي إلا طريـقَ النفـاقِ

كلُّهـا في مـشـاعـري لبنـاتٌ
علَّمـتْني مـعنى الحـيـاةِ الراقي

علَّمـتني أنَّ الجـهـادَ انطلاقٌ
ليس حـبـراً يُخَطُّ في الأوراقِ

-٢-

عـذّبتْني المنى فـلا أنا شـاد
في ضـلالِ المنى، ولا أنـا باكـي

فـإذا مـا شـدوتُ، عـربدَ حـزني
وإذا مـا شكوتُ، غنَّى مـلاكي

لم أفكِّر بأنني سـوف أحـيـا
لأرى خـاطري رهينَ الشِّـبـاكِ

وأرى في يدي حـسـامـاً ولكنْ
لا أطيق امـتـشـاقَـه في العـراكِ

وأرى في فـمـي حـديثـاً، ولكن
يتـلاشى في رعـشـتي وارتبـاكي

يا غـذاءَ النشـيد سـيـري على الور
دِ فـــإني أســـيـــرُ في الأشـــواكِ

أشـهـد الليل حين يغـتـاله الفـجـرُ
بســـهـمٍ من ضـــوئه الفـــتَّـــاكِ

وأرى الشمسَ تمتطي صهوة الفجر
فـيـصـحـو الفـؤاد من نجـواكِ

ســـاهرٌ لم أنم، وكـيف تنال النـــ
ـــومَ عـــيني، ودونه ذكـــراك؟

أتغنَّى وفي فـــؤادي جـــروحٌ
وطـمـــــوحٌ ينـأى بـه عـن هـواكِ

-٣-

أســهــر الليلَ، والنجـومُ اليـتـامى
حـائراتٌ، تُبـدي له اسـتـسـلامـا

والـرُّؤى تـنـزوي وتـزورُّ عـنِّـي
فـتـزيد الأسى بقلبي ضـرامـا

يا نجـومَ المسـاءِ هل عـقم اللَّيْلُ
فـمـا عـاد يُنْجِبُ الأحـلامـا؟

أفـــمـــا عـــاد للهـــلال طلوعٌ
يمزج النُّورَ حـــولنا والظلامـــا؟

أفـــمـــا عـــاد للرُّؤى إشـــراقٌ
ينشـــر الحبَّ بيننا والوئامـــا؟

يا نجـــوم المســـاء أرهقنا الـــ
ـــلّيلُ، وصـارتْ سـاعـاتُه أعـوامـا

فـدفنَّا في جـانبـيـه أمـانيـ
ـــنـا، وذُقنـا في ظلِّه الآلامـــا

كـان رمـزَ الإلهـام فـينـا، فـمـاذا
جـعل الليل يقـتل الإلهـامـا؟

كـان يبني لنا من الصـمت دنيـا
تجـعل النَّومَ حـسـرةً وانهـزامـا

كـــان قلبـــاً تشعُّ منه الأمـــاني
كـــان نوراً يبـــدِّد الأوهامـــا

مـادها الليل يسـتـفـز حنيني
ويُريني الصُّدودَ والإحـجـامـا؟

-٤-

يا نجـــومَ المســـاءِ تاهت خُطانا
واحـــــتـــــوانا حنينُنا وطوانا

فـمـضـينا، وليلُنا مـسـتـبـدٌّ
والمآسي تجـــيـــــئُنا ألوانا

مـــا رأيناكِ حين داهمَنا اللَّيْـ
ـلُ، فـهل كُنتِ تَتْـبَـعين سـوانا؟

مـــا رأينا إلاَّ رؤىً حـــائرات
وظلامـــاً مَـــعـــربداً، ودخـــانا

يا نجـــومَ المســـاءِ مـــازال قلبي
غـــارقـــاً في حنينه ولَهَـــانا

رُبَّ نجـوى هفـا إليـهـا فـؤادي
كنتُ أبقى من أجلهـا ســهـرانا

كنتُ أسـمـو بهـا إلى عـالم الْـ
أملاكِ، ألقى فيـه الرِّضا والأمـانا

كنتُ أسـتـمطر الحنينَ وأخـشى
من دمـوعي أن تُغـرقَ الأجـفـانا

كنتُ أستوحشُ العبادَ وأستأْ
نِسُ فيها الصفاءَ والإيمانا

يا نجومَ المساءِ، ما بال نجوايَ
توارتْ، وخلَّفتْ أحزانا؟

أطواني النسيانُ عنها؟ فهلاَّ
كان هذا من قبل أنْ تغشانا

-٥-

يا نجومَ المساءِ ما زلتُ أخشى
أنْ أرى نورَكِ الحبيبَ خَفِيَّا

أنْ أرى اللحنَ تائهاً، والمآسي
قاسياتٍ تكوي فؤاديَ كيَّا

يا نجوم المساءِ، حيَّرني اللَّيْـ
ـلُ، فما عدتُ أفهم الآن شيَّا

رُبَّ صوتٍ هفا إليه فؤادي
جاءني في المساءِ عذباً شجيَّا

حوّل الصمتَ مهرجاناً بديعاً
وطواني في لحنه العذبِ طيَّا

ذلك الصـــوت يا نجـومَ مـســائي
لم يَعُـدْ يُطرب الفـؤادَ الشـقـيَّـا

لستُ أدري، أشـذَّ بي عن طريق الـ
ـصَّوْتِ دَربي، فـصـار عنِّي قـصـيّـا؟

أم ترى الصوت كان حلماً من الأحـ
ـــلامِ يأتي مع المســـاءِ إليَّـــا؟

أيُّهـا الصـامتُ الحـبـيبُ أجـبـني
واعفُ عني فـــقـــد مـــدَدْتُ يديَّا

-٦-

أين أغـدو؟، لقـد سئـمتُ دروبي
بين سـيـري في أرضكم وركـوبي

كم قـرأتُ الوجـوهَ فـيـهـا، ولكنْ
كلُّ وجـهٍ قـرأتُ، جِـدُّ غـريبِ

كم عـيـونٍ ظللْتُ أبحثُ فـيـهـا
عن خـفـايا تلهُّـفي وشـحـوبي

أين سـارتْ بيَ الخُطا؟ ما لشَمْسي
تتـلاشى أمـام زحفِ الغـروبِ؟

أيُّهـا الملهـبـونَ قلبي اشـتـيـاقـاً
أفـمـا تُطفـئـون حَـرَّ اللهـيـبِ؟

يـا إلاهـي.. أهـؤلاء هـم الـقـــوم
فـمـا بالهم قـسـاةُ القلوبِ؟

يـزرعـون الأشـواك في طرقـاتي
ويُـلاقـونـني بـلطـفٍ كـذوبِ

أتُرى الناس أصـبـحـوا في زمـاني
لُعَـبـاً في يدِ الرجـيـمِ اللَّعـوبِ؟

أيُّهـا المسـتـبـدُّ في شـأن قلبي
أيُّهـا المسـتلذُّ في تعـذيبي

لا تدعْني أُقِضُّ مـضـجع ليلٍ
بحنيني ولهـفـتي، ونحـيـبي

-٧-

اللهـيـبُ الذي بـقلبي شـديدٌ
زاده منـكَ نُفـرةٌ وجـحـودُ

آه من هـذه الحـيـاة طوتـني
في مـتـاهاتهـا كـأني شـريدُ

جدتُ بالحبِّ حين أعوزني الدهرُ..
وكلٌّ مما لديه يجودُ

تتوارى الآلام حين يغني الفجرُ
في مقلتي، ويحلو النشيدُ

تملكُ الكونَ كلَّه أحلامي
فأنا فيه فارسٌ مشهودُ

بي حنينٌ إليك يا سالفَ العمرِ
ولكنَّ ما مضى لا يعودُ

كنتُ في روضةِ الطفولةِ أشدو
أملي مشرقٌ وقلبي سعيدُ

تزدهي البسمةُ البريئة في ثغري
ويندى في مسمعيّ التغريدُ

تنثني هامةُ الزمانِ أمامي
كلما لاح لي خيالٌ جديدُ

كَبُرَ الطفلُ، وامتطى مقلتيه
سهرٌ قاتلٌ، وطيفٌ بعيدُ

-٨-

ريع منها، وقد بدا وجهُها الغَضُّ
وغنَّى الهيامُ في شفتيها

ورأى في جبينها غبشَ الحيرةِ
يرمي الأسى على ناظريها

هزَّه الموقفُ العنيفُ: أيخشى
اليومَ من حسنها ومن مقلتيها؟

وهو مَنْ ذَوَّبَ الليالي بلحنٍ
يتغنّى بالورد في وجنتيها

يتغنَّى بقدِّها حين تمشي
وبلون الخضاب في كفَّيها

يتغنَّى بحبِّها ويرى الامال
من فَرْطِ حبِّه في يديها

ماله اليوم، يسكن الخوفُ عينيـ
ـه ويلقى الإصرار في عينيها

إنه اليوم حائرٌ بين خوفٍ
من هواها وبين شوقٍ إليها

هو في حـــيـــرة وكم من نفـــوسٍ
حـيَّـرتْهـا الخطوبُ فـيـمـا لديهـا

زمنٌ ضـــاعت الموازينُ فـــيـــه
فـغـدا الدرهم الرديءُ جُنَيـهـا

-٩-

يسـتـذلُّ الأسى بشـاشـةَ قلبي
ومَـــذاقُ الآلامِ كـــالـزقـــومِ

ظلمـاتٌ أنا بهـا كـشـريد
قـيـدتْ عـزمَـه حـبـالُ الهـمـومِ

تِهْتُ فـيـهـا حـتَّى تبـدَّت لعـيني
كـــهـــلالٍ أطلَّ بين الغـــيـــومِ

هي أصفى من خاطرٍ يجهل الحقـ
ـــدَ، وأسـمى من كلِّ وصفٍ عظيمِ

ســألتني ووجنتـاهـا احـمـرارٌ
ومـــزاجُ الحـــديثِ من تسنيمِ

أين تغـدو من الهـوى؟ قلت: إني
في الهـوى بين راحلٍ ومـقـيمِ

لا أريد الهـوى ولا رَقْـصَـةَ الأشـــ
ـــواقِ، في صـدرك الغليظ الـرحيمِ

فـرأيتُ الدمـوع تنسـاب من أجـمل
طـــــرفٍ عـــــلـــــى أرقِّ أديمِ

غـيــر أني مــزَّقتُ قـيـد همـومي
وتـوجَّـــــــهتُ لـلإلـهِ الـكـريمِ

تاركــاً كلَّ حـــســرةٍ في فــؤادي
تتــلاشى في غـمـرةِ التـصـمـيمِ

-١٠-

لا تقــولي: جــزعتُ مما أقـاسـي
قــدرةُ اللهِ فــوق كلِّ احــتــراسِ

أنـا لـو تـعـلـمين قـلـبٌ جـــــريحٌ
عـــذَّبتني رهـافـــة الإحـســاسِ

يسـبق الدمع همـتي عندمـا ألمح
غـــصناً يذوي وقلبـــاً يقـــاسي

أنـا يـا ربّ كـــالذي نـاشـــه الدَّاءُ،
ولـم يحـضَ بـالطـبـــيب الآسـي

كم تأمَّلتُ في حوادث دنيانا
وفيها مواعظٌ للناسِ

زرقةُ الفجر حين يصبغها الرُّعبُ،
دخانٌ يقود ركبَ المآسي

يبتلي الله خلقَه بنعيم العيشِ
مثلَ ابتلائهم بالبأسِ

إنما يفسدُ النفوسَ احتمالٌ
لكبارِ الأمورِ دون مراسِ

واهتمامٌ بكلِ أمرٍ حقيرٍ
واحتقارٌ لكلِّ أمرٍ أساسي

كم فتًى يرشد العبادَ ويلهو
ويُجيد التذكيرَ وهو الناسي

-١١-

لا تقولي: أنت الفقيرُ فدعني
إنما الفقرُ خسَّةُ الأخلاقِ

ذاك حكم القضاء فينا فهذا
في نعيمٍ، وذاك في إملاقِ

نحن في عالمٍ تضيع الأمانيُّ
فيه ما بين خدعةٍ ونفاقِ

ما سمعنا ـ على مدى ما سمعنا ـ
أنَّ حبّاً يُباع في الأسواقِ

آه لو تعلمين ما في فؤادي
من همومٍ تهفو إلى إغراقي

أتمنَّى الوفاقَ بين بلادي
وتمرُّ الأيامُ دون وِفاقِ

كلما أخفتِ الليالي شقاقاً
أوقعتْنا أوهامُنا في شقاقِ

كلما أشرقت علينا الأماني
قتل الليلُ بسمةَ الإشراقِ

مُنِيَتْ أمتي بشرِّ الرزايا
من رجالٍ عاشوا على الأبواقِ

ربّ أنت الرجاءُ فاعصمْ فؤادي
كلُّ شَيْءٍ يفنى وأنتَ الباقي

-١٢-

إنّ أمـــرَ الإنســـان أمـــرٌ غـــريبٌ
يســـمع الحقَّ ثمَّ لا يســـتـــجـــيبُ

أخطأ العـــاقلُ الأريبُ فـمـــهـــلاً
كـيف ترجـو أنَّ السـفـيـه يصـيبُ؟

أيهـــا الحـــاســـدُ العـــبـــادَ رويداً
إنما الرزق قـــســـمـــةٌ ونصـــيبُ

أَسَّـــهُمٌ هذه الحـــيـــاةُ، فـــهـــذا
منزلٌ مـــجـــدِبٌ، وذاك خـــصـــيبُ

كم بغـــيضٍ إلى فـــؤادك أمـــسى
وهو - بعـد الرضى - إليك حـبـيبُ

يا صـــديقـــاً أحبُّ فـيك التـفـاني
أنـتَ نـاءٍ وأنـتَ مـنـي قـــــريبُ

الزهور التي نغـــار عليـــهـــا
بـات يدنـو مـنـهـــا ذبولٌ رهيبُ

والنداء الذي عـــهـــدناه حـــرّاً
صـافيَ النبع، عـاثَ فـيـه الشـحـوبُ

أيُّ رُزْءٍ أصـاب قـومي فـأضـحى
رمـــزَهم في التطوُّر التـــغـــريبُ

إنما يفـســـد البـــلادَ دعـــاوى
يتـــخـــفَّى وراءها التـــخـــريبُ

-١٣-

يا صـديقـاً عـهـدتُ فـيـه وفـاءً
كـيف أصـبـحتَ ياصـديقي نسـيًّـا؟

كـيف أصـبـحتَ مـيِّـتـاً بالخطايا
ولقـــد كنتَ بـالمكارم حـــيًّـــا؟

ما عهدتُ النَّشـازَ في صوتك العَذْ
بِ، ومـا كنتَ يا صـديقي دعـيًّـا

كنتَ يا صـاحـبي إلينا قـريبـاً
كـيف آثرتَ أن تكونَ قـصـيًّـا؟

تتـــرك المجـــدَ والرُّقيَّ وتســـعى
في طريق الهـوى وتبـغي رُقـيًّـا!

يا صـديقي عَـهـدتُ فـيكَ إباءً
كـيف تسـعى إلى الهـوان رضـيًّـا؟

كيف ذاك الشموخُ صار خضوعاً
وغـــــدا ذلك الهـــــدوءُ دويَّا؟

كم فتًى عاشَ في الحياة سعيداً
ناعمَ البـــال ثم صـــار شـقـيَّـــا

صخَبُ الرجس في فؤادك أضحى
حـــاجـزاً أيُّهـا الصـديقُ عـتـيَّـا

عُـدْ إلى طبعك الجميل تجدْني
بك مـهـمـا طال الزمـانُ حـفـيَّـا

-١٤-

ربما أوهمـــــوك أنَّك شَـــــهْمٌ
حين تنأى عن حكمـــةٍ وســـدادِ

حين تسـعى إلى التـحـــرُّر من رو
ضِ هُدانا، إلى قـيـودِ الفســادِ

حين تغـدو عـبـداً لشـهـوة نفس
بعـد حـــرِّيةِ الهـدى والرَّشـــادِ

حين تغـفـو عن الجـهـاد وتنسى
أنَّ حـــريةَ الفـتى في الجـــهـــادِ

حين تهـــتـــزُّ في يديك الموازيـــ
ـــنُ، وتدمى رجلاك في الأصفادِ

لو تأمَّلتَ يا صـــديقي لشـــاهدتَ
زهورَ الأعـــداءِ شـــوكَ قـــتـــادِ

وابتـــســـامـــاتِهم غطاءً رقـــيـــقـــاً
ســـتـــروا دونه لظى الأحـــقـــادِ

لو تأمَّلْتَ مـــا سلكتَ طريقـــاً
يختفي الجمرُ فيه تحت الرمادِ

تتـراءى في جـانبـيـه الضـحـايا
بوجـوهٍ مـصـبـوغـةٍ بالسـوادِ

لو تأمَّلتَ مـا ركـبتَ «حـمـاراً»
ألبـســتْـه الأبواقُ ثوبَ «جـوادِ»

-١٥-

البـــحـــار التي رأيتَ ســـرابٌ
والدُّخـــان الذي رأيتَ، ضـــبـــابُ

والنشـيـد الذي سـمـعتَ، نحـيبٌ
والذئـاب الـتـي رأيـتَ كـــــلابُ

والضـجـيـج الذي سـمـعتَ طنينٌ
إنما يحـــسن الطنـينَ الذُّبـابُ

والدعـايات - يا صـديقي - خـداعٌ
إنما تسـتـر العـيـوبَ الثـيـابُ

أرأيتَ الشـهـابَ في الليل ينقضُّ
لماذا ينقضُّ ذاك الشـهـابُ؟

أرأيتَ الرِّحـابَ ضـاقت بظلمٍ
فلمـاذا تضـيقُ تلك الرحـابُ؟

أرأيتَ الأحـبـابَ خـانوا مـحـبّـاً
فلمـاذا تغـيَّـر الأحـبـابُ؟

أرأيتَ الشـبـابَ تاهوا وضلُّوا
فلمـاذا يا صـاح تاه الشـبـابُ؟

أرأيتَ الإنسـانَ يبطر ينسى
أنه كـيـفـمـا تعـالى، ترابُ؟!

لا تسلْني فكم سـؤالٍ عظيمٍ
مـات في مـهـده ومـات الجـوابُ!

-١٦-

أيهـا العـابدُ الرغـائبَ مـهـلاً
إنَّمـا اللهُ وحـدَه المعـبـودُ

أيهـا المرهقُ الزمـانَ بسـعيٍ
ربَّ سـاعٍ وغَـيـرُه المسـتـفـيـدُ

أنتَ تسـعى إلى عـدوِّك تبـغي
منه نصـراً فـهل تراه يجـودُ؟

أنت تسـعى إلى سـراب وعـود
ليت شـعـريً، مـتى تُوَفَّى الوعـودُ؟

أنْعَمَ اللـه بالـرشـاد علينـا
فلمـاذا عن الرشـاد نَحـيـدُ؟

شـأنُ هذي الحـيـاةِ يا أصـحـابي
كلُّ ذي نعـمـة بهـا مـحـسـودُ

عـصـرنا يصطلي بنار الرزايا
وظلامُ الأوهام فـيـه شـديدُ

الأسى عـاصفٌ بكلِّ فـؤاد
صـادقِ الحسِّ، والرضى مـفـقـودُ

أسـرف الليلُ في التـمـادي، ونامت
أعينُ القـوم ،واسـتـبـدَّ الحَـقـودُ

واشـــرأبَّ الظلام حـــتى تراءى
ألفُ طيفٍ يحـار فـيـهـا الرشـيـدُ

-١٧-

لا تسلني يا صـاحـبي عن حنيني
حـرتُ مـا بين فـرحـتي وشـجـوني

خـطـواتٌ تلفُّنـي فـي مـــــداهـا
وشـــفـــاهٌ خـــلالهـــا تدعـــوني

أين عُـقْـبى مطافـهـا؟ أين دربي
من خطاها؟ إلى مـــتى تطويني؟

هذه الذكـــريات كم شـــرَّدتني
في مـــداها ولم تزلْ تغـــريني

أسـمـعـتني أرقَّ صـوتٍ دعـاني
وهمـــومي تذكي لهـــيبَ أنيني

ذلك الصـوتُ زاد قلبي ارتيـاحـاً
وحـمـاني من حـســرةٍ تؤذيني

ودعـــــاني إلـى عـــــوالم قـــــومٍ
رســـمـــوا لِلزمـــان درْبَ اليـــقينِ

ســرتُ والقلبُ يســتـقي من مَـعينٍ
مُـــفـــعمِ النَّبع، يا لَه من مـــعينِ

أبعـــــدَتْني عنه الخطوبُ ولكنْ
أملـي مـن رحـــــــابه يدنيـني

أملٌ فـي انتـفـاضـةٍ تُوقظ الفـجـرَ
وتُـلـقـي عـنَّـا رداءَ الـسـكـونِ

-١٨-

أيهـا القلبُ هل لديك اصطبـارٌ؟
تســـهـــر الليلَ والأمـــاني دِثارُ

وخـريفُ الآلامِ يذبل فـيـه الزَّهْرُ
يعـــوي في جـــوِّه الإعـــصـــارُ

ورجـائي في رحـمـة الله أقـوى
من قنوطٍ، عُـقـبـاه بؤسٌ وعـارُ

يعـقب البـؤسَ في فـؤاديَ أنسٌ
مـثلمـا يعـقب المسـاءَ النَّهـارُ

عندمـــا ألمح انتـــفـــاضـــةَ قـــومي
يتـــوارى في ظلِّهـــا الإنبـــهـــارُ

عندمـا يعلمـون أن بحـارَ الفـســـ
ـــقِ، لم ينـجُ فـــوقـــهـــا بحَّـــارُ

اســـألو بدرَ فـــالمكان شـــهـــيـــدٌ
كـيف كـان الصـحـابةُ الأخـيـارُ؟

كـــيف هـزَّتْ جنودُ ربِّك جندَ الـــ
ـــكفـــر حـتى تحـقَّق الإنتـصـار؟

واســـألوا الفـرس أين أُبَّهـةُ الملـــ
ـــــك، وأين الحـصـونُ والأسـوارُ؟

شـيَّـدوها على المفـاسـد فـانهـارتْ
وصـــــــرحُ الإيمـانِ لا ينـهـــــارُ

-١٩-

إنَّمـــا يجـــعل الفـــؤادَ يعـــاني
من جـــراحـــاته ويشكو الزمـــانا

أن نرى في الحـيـاة حـقـاً نواريـــ
ـــه وظلمـاً نُنيله اسـتـحـسـانا

أن نرى في العبـــاد من يتـــزيَّا
بالتُّـــقى، وهو مُـــتْـــخَمٌ نكرانا

أن نرى أمَّـــةَ العـقـيـدة جـسـمـاً
مـــزَّقـتْـه الأهواءُ حـتى اسـتكانا

كـان يزهو كـيـانهـا فـالْتـهـينا
بالتـعـادي، حـتى هدمنا الكيـانا

وغَـــــــدَوْنـا عـنـوانَ ذُلٍ وكـنـا
لســـــوانا بعـــــزِّنا عنوانا

لِمَ نبـقى على الخـلافـات يا قـوم
ونـنـسـى مـن يـسـلـب الأوطـانـا؟

أترانا نفـــيق من غـــفـــوة الذلِّ
ونصـــحـــو لحـــالنا، أترانا؟!

علم اللهُ مـــا أشـــحتُ بطرفي
عن جـمـيلٍ إلا خـشـيتُ افـتـتـانا

وإذا قـــيـــست الحـــيـــاةُ بمالٍ
فـــتـــرقَّبْ لـلأكـــرمين الهـــوانا

-٢٠-

صـــمتُ هـذا الزمـــان نطقٌ مـــبينُ
حين يقـــســـو على الفـــتى ويلينُ

إنما العـمـــر مـــركبٌ يطلب الناس
عليـــــه المنى وفـــيـــــه المنونُ

نحن نسـعى إلى الرغـائب سـعـيـاً
وبـنـا لـلفنـاءِ تجـــــري السـنـينُ

تتـــوالى الأيامُ تحـــصـــد أجـــيـــا
لاً، وتفنى مـــعـــاقلٌ وحـــصـــونُ

سنواتٌ مـــضت، ومـــا زال قـــومٌ
في مـــتـــاهاتهم، ومـــرَّتْ قـــرونُ

سنواتٌ مـــضت، فـــمـــاذا جنينا
غـــيـــرَ ذلٍ يندى عليـــه الجـــبينُ؟

سنواتٌ مـضت، فـأين النضـال الـــ
ـــحقُّ فـيـــهـــا، وأين منا اليـقـينُ؟

أين مـــا ندَّعـيـــه من وحـدة الصفِّ
وأيـن الحـــــــجـــى، وأيـن الـديـنُ؟

رُبَّ ذي مظهـــرٍ جـمـــيلٍ توارى
خَلْفَ إخـــلاصـــه فـــؤادٌ خَـــؤونُ

قـد تعـبنا سـعـيـاً وراء سـراب
يتـــــسلَّى بنـا العـــــدوُّ المبـينُ

-٢١-

يا زمـاني إلى مـتى سـتـسـيـرُ
أين تغـدو أيامنا والشـــهـــورُ؟

يرحلُ العـمـــرُ يا زمـاني، وتفنى
أُممٌ في ركـــابه وعـــصـــورُ

والســـؤالاتُ حـــائراتٌ بذهـني
والجـــوابُ الذي أريد أســـيـــرُ

يا ترى أين نـحـن من ذلك الرَّكْـــ
ـــبِ، أنحـبـوا في ظلِّه أم نطيـرُ؟

نحن في عـالمٍ يحـرِّكـه البـغـيُ
فـيـمـضي، شـعـارُه التـدمـيـرُ

نحن في غـابةٍ يموت بهـا الحقُّ،
ويسطو على الصـغـيـرِ الكبـيـرُ

عـالمُ اليـوم قـبـضـةٌ تلطم الحقَّ،
وســـاقٌ إلى الدمـــارِ تســـيـــرُ

كم دمـــاءٍ تُراقُ ظلمـــاً فـــأين الـــ
ـــعـدلُ منهـا، وأين منهـا الضـمـيـرُ؟

أين حـــريةُ العـــقـــيـــدة والفكر
وأين الـرِّضـــا، وأين الحـــبـــورُ؟

ليس منهـــا في عـــالم اليـــوم إلا
كَـــذِبُ المرجـــفين والتـــزويرُ

يا زمـــاني مـــتى تغني الأمـــاني
ومـتى يُسـعِـدُ الفـؤادَ البـشـيـرُ؟

ومـــتى ينجلي الظلام عن الكـــ
ـــون، ويبـــدو للعـــالمين النورُ؟

-٢٢-

يا زمـــاني هذا ســـؤالٌ كـبـيـرٌ
ربما تـاه في مـــداه القـــريضُ

أمـــتي تعـــرف الجـــوابَ، ولكنْ
قلبـــهـــا اليـــوم بالمآسي يفـيـضُ

تشـــرب الكأسَ تصطلي بالمآسي
وعلى وجهها الحبيبِ غموضُ

أيَّ شيءٍ تقول، مَنْ ذا سيُصغي
لو أبانتْ، وكلُّ حُكْمٍ عَضُوضُ؟

كلُّ كفٍّ فيها تحاول بطشاً
كلّ وجهٍ يلوحُ وجهٌ بغيضُ

أمتي يا أَعَزَّ شيءٍ بقلبي
رَحَلَ العمرُ، والجناحُ مهيضُ

رَحَلَ العمرُ والمآسي خِضَمٌّ
جازه غيرُنا ونحن نخوضُ

رحل العمرُ، والليالي اكتئابٌ
معتمٌّ، لم يُشِرْ إليه وميضُ

أمتي، هذه المصائب زندٌ
يشعل العزمَ حين يغفو النهوضُ

نحن في حاجةٍ إلى إيمانٍ
ويقينٍ به القلوب تفيضُ

نحن في حاجةٍ إلى إقدامٍ
كلُّ حلٍّ من دونه مرفوضُ

نحن في حاجةٍ إلى وحدةِ الصفِّ
كـمـا احـتـاج للدواءِ المريضُ

-٢٣-

يا بلاد الإسـلامِ مـاذا الخـلافُ
ولماذا التـمـزيق والإرجـافُ؟

كنتِ بالأمس، أمـةً بالتـآخي
فلمـاذا يثـورُ فـيكِ الخـلافُ؟

كيف أصبحتِ كالفريسة للأعـ
ـداء، هذا يسطو، وذاك يعـافُ؟

كيف أصبحتِ مسرحاً يتبارى
فيـه أعـداؤنا ونحن الضِّعـافُ؟

القـوانينَ دبَّجـوها، ولكنْ
لا ضـمـيـرٌ فـيـهـا ولا إنصـافُ

والدعـاياتِ أحكمـوها فـسـارتْ
في مـتـاهاتهم عـقـولٌ خِـفـافُ

جفَّ ينبـوعُ عـزمِنا يا بلادي
ليت شعـري متى يزول الجـفـافُ؟

يا بني أمـــــتي سنزداد بؤســـاً
إن بقـــــينا نجلُّهم ونخـــــافُ

عَـسَلُ القــوم يا شــبــاب بلادي
لو فطنّا إليـــــه، سمٌّ زُعَـــــافُ

-٢٤-

اسألوا الأرض عن رفات الضحايا
واســألوا الليل عن ظلام السـجـونِ

قــتلوا الأبرياءَ ظلمــاً، كــأنَّ الــ
ــموت يقضي على الضيـاء المبينِ

إنهـــا لذَّة الهـــدى، لو وَعَـــوْها
لا يبـــالي أصـــحـــابهـــا بالمنونِ

يا لبـؤسِ الطغـاة صـارتْ خطاهم
وصـــمـــةً يحـملونهـا في الجـبينِ

يحسبون النجاةَ في البعد عن نهـــ
ـــــج إلهي، والقـــربِ من لينينِ!

لا يخافون في الحياة سوى الحق،
ولا يكرهـون غـــــيـــــرَ الدينِ

بلغ الناسُ مـــا أرادوا، وظلُّوا
- ويلهم - يركضون خلف الفتونِ

أيَّ خـــيـــرٍ نريده في رجـــالٍ
نقضوا بالشمال عهدَ اليمينِ

يتـــعـــالون فـــوقنا، ونراهم
ســـجَّـــداً عند أرجل «التنِّينِ»!

إنما رُزْءُ أمـــتي في رجـــالٍ
همُّـــهم في فـــروجـــهم والبطونِ

-٢٥-

ربّ إنا قـــد ابتُلينا بقـــومٍ
يدَّعـــون الهـــدى، ومـــا تبـــعـــوه

رأوا الـــدربَ يـــا إلاهـــي، ولـــكـــنْ
سلكوا غـــيـــرَه، ومـــا سلكوه

شـــربوا الكأ س، ربما كـــان كـــأســـاً
لـــلـــمـــنـــايا، لـــكـــنـــهـــم شـــــربوه

عـــرفـــوا الله في الشـــقـــاء، فلمَّـــا
يسَّـــــر اللـــهُ أمـــــرَهـــم أنكروه

وتمادوا في لهوهم يا إلاهي
لم يُفدهم زجرٌ ولا تنويهُ

كم تقيٍّ قد أبعدوه، ووغدٍ
غارقٍ في ضلاله، قرَّبوه

كم دماءٍ ببغيهم أهدروها
ورضيعٍ في مهده أيتموه

هم رؤوسٌ في قومهم، وعبيدٌ
للملاهي، فأمرهم مشبوه

خُلق الظلمُ، أمُّه قلّةُ الدين
وسوءُ الأخلاق فينا أبوه

-٢٦-

كان قَطْراً، فكيف أصبح سَيْلاَ
وغديراً، فكيف أصبح غَيْلاَ؟

كان ليلاً، فكيف صار نهاراً
ونهاراً، فكيف أصبح ليلا؟

كان حُراً، فكيف أصبح عبداً
وكريماً، فكيف صار نُذَيلا؟

الشعاراتُ في يديه استشاطتْ
غضباً، لم تنلْ من الصدقِ نَيْلا

حدثونا عن الهوى، فظننَّا
أنهم في الهوى، كقيسٍ وليلى

حدثونا عن الأسى، فظننَّا
أنهم قد شَكَوْا من الهجر وَيْلا

حدثونا عن الوفاءِ بكيلٍ
وهم الباخسون في الناس كَيْلا

وبلونا شؤونَهم فرأينا
أنهم أُتخموا إلى الغرب مَيْلا

كشياهِ الجزَّارِ تسعى إليه
أو كمن يُنكح الثريَّا سهيلا

وقبيحٌ من الفتى أن يكون الرأسَ
في قومه، فيصبح ذَيْلا

-٢٧-

يالَبُؤْسي أبالتبذُّلِ والتقليدِ
أضحى الإنسانُ فينا يُقاسُ؟!

أوَ مـــا ينتـــمي إلى المجـــد إلا
حـــين يَـــرمـــي إبَـــاءه، ويُـــداسُ؟!

أيـن إيمانـه بمبـــــدئه الســـــا
مي، وأين الوفـــاءُ والإحـــســـاسُ؟

أيُّهـــا الســـائرُ المُغِـــذُّ تمهَّلْ
ربما ينفع الفـــتى الاحـــتـــراسُ

كن وفـــيّـــاً لكي تعـــيشَ نبـــيـــلاً
إنَّ نُبْلَ الفـــتى هو المقـــيـــاسُ

رَبِحَ الســـائرون في مـــسلك الحقِّ،
ومن حظِّ مـــثلِك الإفـــلاسُ

لـيس - والـله - بـالأديب المرجَّى
مَـنْ يـغـنـي وفـي يـديـه الـكـأسُ

أو يُعـــرِّي ليلى ويُنشـــدُ فـــينا
إنَّ لـيلـى جـــمـــيـلـةٌ يا نـاسُ

خـــسئ المعـــتـــدون كم ضلَّلونا
وخـلالَ الأوطانِ بالفـسقِ جـاسـوا

مَـدْحُـهم أيهـا الصـديقُ خـداعٌ
ومـــتى ذمَّ عـــبـــدَه النخَّـــاسُ؟

-٢٨-

عـــالمٌ أيُّهـــا الصـــديق فـــسـيحٌ
تتـــجـــافى فـــيـــه المنى والرِّغـــابُ

عـــــالمٌ، كلَّمـــــا نظرتُ إليـــــه
حَـزِنَ القلبُ، فـهـو جـسمٌ مُـصَـابُ

جـسـدٌ - أيهـا الصـديق - جـريحٌ
مـــزَّقَـــتْـــه الأهواءُ والأحـــزابُ

أنتَ يا صـاحبي على منهج الإســ
ـــلامِ أقـــوى منهم، وأنت المهـــابُ

أنتَ أصـــفى نبـــعـــاً وإن عكَّروه
جلَّ نبـــعـــاً للمـــسلمين الكتـــابُ

إنّ تعِش فـــالبناءُ للكون والعـــد
لُ، وإن تَقْضِ فـالرِّضـــا والثـــوابُ

كم فـتىً غـائبٍ عن العين مـوجـ
ـودٌ، وكم حـاضـرٍ طواه الغـيـابُ

ليس كلُّ الأصـحـــابِ أهلَ وفـــاء
ربما يُمطرُ العـــذَابَ الســـحـــابُ

هـذه الـدار مـــــركبٌ ينـقـل النـا
سَ، وفي غـيـرها يكون الحـسـابُ

وإلـى الـلـه ينـتـــــهي كلُّ شـيءٍ
جلَّ من حـــاكمٍ إليـــه المآبُ

الفهرس

القصيدة	الصفحة
لـوحـــــــة	٥
كلمـــــات	٧
قضـي الأمر	١٧
ذمار ... مـاذا جرى ؟؟	٢١
بوح وشكوى	٢٦
في غمـرة الأحداث	٢٩
غـراب - و - بلبل	٣٤
إضاءة في سراديب الحياة	٤٠
نقوش على واجهة القرن الخامس عشر	٤٦